Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphane
Yayınlar Merkezi

صقلية

علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية

من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي

٢١٢ - ٤٨٤ هـ / ٨٢٧ - ١٠٩١ م

الدكتور
تقي الدين عارف الدوري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن موضوع علاقات صقلية خلال الحكم العربي بدول البحر المتوسط الاسلامية على قدر كبير من الأهمية، لأن أحداث الجزيرة السياسيه والاقتصادية والثقافية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدول ذلك البحر تأثراً وتأثيراً. وإن أية دراسة لتاريخ صقلية العربية لا تكتمل إلا بالتعرض لعلاقاتها الخارجية، لهذا اخترت هذا الموضوع، لأسد فراغاً كبيراً في الدراسات المتعلقة بتاريخ الاسلام في الجزيرة.

وقد قسمت البحث الى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة. تناولت في الباب الأول الغارات العربية على صقلية والفتوح الصقلية زمن الأغالبة ابتداءاً من حملة أسد بن الفرات. ثم مراحل استكمال الفتوح والنتائج المترتبة على ذلك. وخصصت الباب الثاني لدراسة علاقات صقلية السياسية مع دول المغرب (دولة بني الأغلب والفاطميين وبني زيري) والأندلس ومصر وبلاد الشام. وأفردت الباب الثالث لدراسة العلاقات الاقتصادية الصقلية مع كل من المغرب والأندلس ومصر وبلاد الشام. أما الباب الرابع فقد جعلته للعلاقات الثقافية الصقلية بكل من المغرب والأندلس ومصر وبلاد الشام.

وقد اعتمدت على مجموعة كبيرة من المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة والى مراجع حديثة ودوائر معارف ودوريات وبحوث عربية وأجنبية. فاعتمدت على كتب عربية مخطوطة في التاريخ وتاريخ الأدب والطبقات والتراجم والسير ومجموعة من مخطوطات لعلماء صقليين في موضوعات فقهية وقراآت وحديث وتصوف وعلم كلام ولغة ونحو وصرف وعروض وفلك. فالجزء الثاني والعشرون من «نهاية الأرب في فنون الأدب» خصصه مؤلفه

النويري لتاريخ الأندلس وافريقية وصقلية. وقد اعتمدت على مخطوطة معهد مخطوطات جامعة الدول العربية لوجود بعض العيوب في مخطوطة دار الكتب خصوصاً في ترقيم الصفحات وتجليدها وبعض الخلط بين الكلام عن صقلية وغيرها. وقد حوى الجزء المذكور أخباراً كثيرة ووافية عن الغارات العربية الاولى على صقلية وأخبار الفتوح الصقلية واحداثها السياسية حتى سقوطها على يد النورمان. ومما يزيد في أهمية هذا المصدر بالاضافة الى كثرة الأخبار الواردة فيه أن بعضها كان نادراً ولم يرد في غيره من المصادر. كما استعنت بكتب تاريخية مخطوطة انفرد بعضها بأخبار لا توجد في غيرها مثل «عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف» للقضاعي و«مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي و«عيون التواريخ» للكتبي و«تاريخ الاسلام» للذهبي و«زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» لبيبرس الدوادار و«تاريخ الدول والملوك» لابن الفرات و«عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» للعيني و«تاريخ الأغالبة في مملكة تونس» لابن وارداں.

كما اعتمدت على كتب الطبقات المخطوطة. فالجزء الثاني من «رياض النفوس» للمالكي أمدني بمعلومات ثمينة عن العلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية بين صقلية والمغرب. وكتاب «الغنية» تأليف القاضي عياض، وهو فهرست لشيوخ المؤلف، ذكر فيه فيما ذكر تراجم لشيوخه من الفقهاء الصقليين. وقد أفدت منه في دراسة العلاقات الثقافية الصقلية. وكتاب «اشارة التعيين الى تراجم النحاة واللغويين» لليمني الذي يتحدث عن نحاة ولغويين صقليين ومغاربة وتلامذة لفقهاء صقليين. وبالرغم من أن مخطوط «تلخيص أخبار النحويين واللغويين» لابن مكتوم هو تلخيص لكتاب «أنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي فاني اعتمدت عليه أيضاً لأنه كان يلخص أحياناً بتصرف ويضيف بعض المعلومات للمترجم له. ومخطوط «طبقات النحاة واللغويين» لابن شهبة انتفعت من تراجمه لنحاة ولغويين صقليين ومغاربة وأندلسيين.

كما اعتمدت على «ما اختاره الحسن بن علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي من المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء

الجزيرة مما ليس في اختيار ابن أغلب» وهو خاص بشعراء صقليين لكنه لم يترجم الا للقليل منهم واكتفى في أغلب الأحيان بذكر الاسم الكامل للشاعر وشعره. وكتاب «الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة» لابن القطاع الصقلي. كما رجعت الى مخطوط «المغرب في حلى المغرب» الذي أكمله ابن سعيد واشتمل على ذكر بعض الصقليين من أمراء وكتاب وعمال وعلماء وزهاد وشعراء وفيه وصف موجز لصقلية، وهو ينقل في أغلب الأحيان من كتاب «الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة» لابن القطاع. واعتمدت على مخطوط «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» القسم الرابع - المجلد الثاني[1]. وهو يترجم لبعض الشعراء والأدباء الصقليين الوافدين الى الأندلس مع ذكر لشعرهم وقطع من نثرهم. أما كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي فقد رجعت الى تراجمه لكثير من علماء وفقهاء وأدباء صقلية والمغرب والأندلس. أما مخطوط «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» الجزء الحادي عشر منه، فقد تضمن تراجم لأدباء وشعراء صقليين ومغاربة وأندلسيين مما أفادني في دراسة العلاقات الثقافية. كما رجعت الى كل من مخطوط «الوافي بالوفيات» للصفدي و«نزهة العيون في تواريخ القرون» للملك الأفضل أحد ملوك اليمن فيما ذكراه عن بعض الشخصيات السياسية والثقافية. وتضمن مخطوط «المقفى» للمقريزي (وهو في تراجم أهل مصر والواردين عليها من سائر الاقطار) تراجم بعض قواد الغزوات العربية على صقلية وبعض العلماء الصقليين الوافدين الى مصر. ومن كتب السير مخطوط «شرح لمعة من أخبار المعز لدين الله» لمجهول فيه معلومات طيبة عن جوهر الصقلي واستيلائه على مصر. ورجعت الى ترجمة للامام المازري الصقلي في مخطوط «نجم المهتدي ورجم المعتدي» لابن المعلم. وهو كتاب في علم الكلام.

واستعنت بالتراث العربي الصقلي المخطوط الذي ألفه علماء وفقهاء وأدباء صقليون. وأهم هؤلاء المؤلفين الصقليين: في الفقه ابن يونس وعبد الحق،

---

(١) طبع مؤخراً بعناية د. أحسان عباس.

وفي التصوف عبد الرحمن، وفي القراآت ابن الفحام، وفي الحديث ابن عقال، وفي اللغة والصرف والعروض ابن القطاع. وان اسماء مؤلفاتهم موجودة في قائمة المخطوطات الملحقة بهذا البحث. وكذلك رجعت الى كتاب أحد المغاربة المهاجرين الى صقلية وهو مخطوط وعنوانه «تهذيب المدونة في الفقه» للبراذعي الذي ألفه في صقلية معتمداً على ثقافته المغربية. كما اعتمدت على مخطوط «الجمل الهادية في شرح المقدمة الكافية» لابن بابشاذ النحوي المصري الذي أملاه على تلميذه ابن الفحام الصقلي. والشرح الثاني لابن بابشاذ نفسه بعنوان «المقدمة المحسنية في فن العربية» الذي أملاه على تلميذ آخر.

وأذكر في هذا المقام بأنني رجعت الى أجزاء من كتب مخطوطة وأجزاء أخرى مطبوعة. مثل «نهاية الأرب في فنون الادب» للنويري و«مرآة الزمان» لسبط بن الجوزي و«عيون التواريخ» للكتبي و«رياض النفوس» للمالكي و«معجم السفر» للسلفي و«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام و«المغرب في حلى المغرب» لابن سعيد و«الوافي بالوفيات» للصفدي. وتجدر الاشارة أيضاً الى أني رجعت الى كتاب «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان وهو مخطوط بنسختين نسخة مكتبة جامعة القاهرة ونسخة معهد مخطوطات جامعة الدول العربية. وعندما صدر الكتاب مطبوعاً عولت على الرجوع الى المطبوع.

واعتمدت على مصادر عربية قديمة مطبوعة تفاوتت في أهميتها ولم أقصر اعتمادي على طبعة واحدة للكتاب بل كثيراً ما اعتمدت على اكثر من طبعة. و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير يأتي في مقدمة تلك المصادر، وذلك لانه حافل بمعلومات كثيرة عن الأحداث الصقلية، فقد ذكر كثيراً من الغزوات العربية الأولى، وأعطانا تفصيلا لأحداث فتحها وحروب العرب مع البيزنطيين في الجزيرة. وأشار الى الأحداث السياسية الأخرى الخاصة بأمراء الجزيرة وثوراتها وأخبار صقلية وعلاقتها بكل من دولة الأغالبة والدولة الفاطمية والزيرية في المغرب والدولة الفاطمية في مصر حتى سقوط الجزيرة في أيدي النورمان. ويلي ابن الأثير في الأهمية كتاب النويري «نهاية الأرب

في فنون الأدب» و«البيان المغرب في أخبار المغرب» لابن عذاري و«تاريخ ابن خلدون» لكن ما جاء في ابن خلدون يجب الا يحمل على محمل اليقين لأن بعض التواريخ والأسماء التي أوردها تتصف بعدم الدقة. وفيما عدا هذا فان ابن الأثير وابن خلدون ينقلان من مصدر واحد نصوصاً متطابقة مع بعض التغيير في التعبير أحياناً وكذلك يتطابق ما أورده النويري معهما ويختلف معهما في أحيان أخرى. ومعنى هذا أن هؤلاء المؤرخون استقوا من احدى كتب «تاريخ صقلية» المفقودة. والمعروف أن الذين ألفوا كتباً باسم «تاريخ صقلية» هم: أبو علي الحسن بن يحيى الفقيه الصقلي المعروف بابن الخزاز. وقد أشار اليه ياقوت أربع مرات في معجم البلدان في مواد: البياو وجفلوذ وصقلية، ومرة في معجم الأدباء في ترجمة علي بن حمزة البصري. وأشار اليه القزويني في كل من «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» و«آثار البلاد وأخبار العباد». ولم نستطع الحصول على ترجمة للمؤرخ الصقلي المذكور، الا أنه يمكن القول انه من رجال أواخر القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري. لكن أماري[1] وكراتشكوفسكي[2] ذكرا انه توفي في حدود ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م. ونقل أبو الفداء «من تاريخ جزيرة صقلية تأليف صاحب تاريخ القيروان». ومن المحتمل أن يكون المؤلف هو الحسن بن رشيق لأنه أحد من ألف في تواريخ القيروان على حد قول حاجي خليفة ولأن ابن واردان عند كلامه عن تاريخ صقلية وأخبار فتحها يذكر: قال ابن رشيق. والكتاب الثالث باسم «تاريخ صقلية»، هو لابن القطاع الصقلي، وقد رأى ياقوت الكتاب ونقل منه حسبما ذكر في معجم البلدان، وذكره حاجي خليفة، الا أن ياقوت ذكره في معجم الادباء باسم «ذيل تاريخ صقلية». والكتاب الرابع باسم «تاريخ صقلية» هو لأبي زيد الغمري، وقد ذكر ذلك من القدامى السخاوي وحاجي خليفة ومن المحدثين أماري وروزنثال. ولا يعرف من هو الغمري. اما ابن عذاري فقد جاء بأخبار صقلية لم تأت عند غيره، ويبدو انه اعتمد على مصادر

---

(١) Storia dei Musulmani di Sicilia, Vol. 2, P. 491.

(٢) تاريخ الادب الجغرافي العربي، جـ١، ص ٣٤٣.

أخرى مفقودة أيضاً ومن هنا تظهر أهميته. واعتمدنا على كتاب «تاريخ جزيرة صقلية من حين دخلها المسلمون وأخبار ما جرى فيها من الحروب وتبديل الأمراء وغير ذلك» لمؤلف مجهول يعتقد انه يوناني. وبالرغم من لغته الركيكة فقد حفل بأخبار كثيرة عن الأحداث الصقلية، ورتبها على سنوات تاريخ العالم المستخدم عند البيزنطيين. أما القسم الثالث من كتاب «أعمال الأعلام» لابن الخطيب فقد خصص بعضه لتاريخ صقلية عرض للغزوات العربية الأولى وأيام الأغالبة والكلبيين. وقد أمدنا بأخبار عن صقلية فريدة وطريفة، ولكنه يعاب عليه عدم الدقة أحياناً. والأخبار التي أوردها أبو الفداء في «المختصر في اخبار البشر» لا تختلف كثيراً عما أورده ابن الأثير. أما كتاب «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان فقد ذكر ما سمعه من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في مجلس أو مقام أو مسايرة وما وصله منه من بلاغ أو توقيع أو مكاتبة. وكان يسجل المعلومات اثر كل مجلس مباشرة. لذلك يعتبر مصدراً رئيساً لتوضيح طبيعة العلاقات السياسية العدائية التي كانت تربط الأندلس من ناحية وصقلية والدولة الفاطمية في المغرب من ناحية اخرى أيام المعز لدين الله. وكذلك أفادني في دراسة العلاقات الاقتصادية بين المغرب وصقلية. وكتابه الآخر «افتتاح الدعوة» نص أصيل لتاريخ ظهور الدعوة الفاطمية، وقد عرض لبعض جوانب من العلاقات السياسية بين صقلية وأمراء الأغالبة المتأخرين. وكذلك الثورات الصقلية التي جابهت الحكم الفاطمي للجزيرة أيام الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي. وكان لبعض النصوص التي أوردها ابن الصيرفي في كتاب «الاشارة الى من نال الوزارة» أهمية في دراسة العلاقات السياسية بين صقلية ومصر الفاطمية، خاصة وانها لم ترد في غيره من الكتب. وقد اعتمدت في دراسة الغزوات الاولى على النص المنسوب للواقدي وعلى ما ذكره البلاذري وابن قتيبة والازدي والرقيق القيرواني وصاحب العيون والحدائق. واعتمدت على الانطاكي في كتابه «صلة تاريخ ابن البطريق» في بحث العلاقات السياسية بين صقلية والدولة الفاطمية في المغرب ومصر. وعدت الى «تاريخ أخبار القرامطة» لثابت بن سنان في دراسة علاقة جوهر الصقلي بالشام. وأهميته

تظهر في معاصرة المؤلف لجوهر الصقلي. وأفدت من الدواداري في «الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية» في دراسة الفتوح الصقلية والعلاقات الثقافية بين صقلية ومصر الفاطمية. ورجعت كذلك الى بعض الكتب الخاصة بتاريخ الفاطميين مما له علاقة بصقلية مثل «أخبار مصر» لابن ميسر و«أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم» لابن حماد و«أخبار الدول المنقطعة» القسم الخاص بالفاطميين لابن ظافر.

وحفلت كتب الطبقات بمعلومات غزيرة عن الاعلام الصقليين والمغاربة والاندلسيين والمصريين أصحاب العلاقة بصقلية والصقليين أفدت منها في دراسة العلاقات الثقافية. ويأتي على رأس هذه الكتب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض وهو معجم لأتباع المذهب المالكي. وقد ترجم لأعداد كبيرة من أعلام صقلية بحكم كون غالبية علماء وفقهاء صقلية مالكيين، فذكر مؤلفاتهم وأساتذتهم وتلاميذهم. ويزيد المصدر المذكور أهمية انه كان قريب العهد من زمنهم. ويليه من كتب تاريخ طبقات فقهاء المالكية كتاب «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون الذي ينقل عن ترتيب المدارك احياناً. وكانت للمعلومات التي ذكرها الذهبي في «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» فائدة كبيرة في توضيح علاقة القراء الصقليين بشيوخهم وتلامذتهم مما أنار لي الطريق لدراسة ذلك الجانب من العلاقات الثقافية، لا سيما وان مؤلفه الذهبي عرف بالدقة والضبط والاجادة فيما يكتب. ولكتب طبقات النحاة واللغويين فضل كبير في دراسة العلاقات الثقافية. ويأتي في مقدمتها كتاب «أنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي الذي ذكر فيه مشايخ علمي النحو واللغة وتضمن طائفة كبيرة من مشايخ صقلية في هذا الاختصاص. ويوازيه في الأهمية كتاب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي. وبالرغم من تأخر زمان المؤلف فانه نقل ما في الكتب السابقة وأضاف اليها ما فاتها من تراجم. واحتوى على تراجم للغويين ونحاة صقليين أو غير صقليين ممن لهم علاقة بصقلية. كما أفدنا من كتاب «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي. وكتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»